أثر تدبُّر القرآن الكريم

في

الفقه المقاصدي

إعداد

الدكتور/ مبارك المصري النظيف محمد

ملخص البحث

يهدف البحث إلى الوقوف على أثر تدبر القرآن الكريم في الفقه المقاصدي، وذلك من خلال بيان حقيقة التدبر وأهميته وأركانه وقواعده ومراتبه، ثم حقيقة الفقه المقاصدي وأهميته ومجالاته وصلته بتدبر القرآن، ثم عرض منهج السلف الصالح في تدبر القرآن، إلى جانب الأثر الملموس لقضية التدبر في بناء العقلية المقاصدية وتوسيع دائرة الفقه المقاصدي.

ويَسْتخلص البحث عدة نتائج أهمُّها :

- التدبر من مقاصد التنزيل الكبرى ، فما نزل القرآن إلا لأجل تدبر آياته وفهم غاياته والعمل به.
- شعيرة التدبر واجبة على كل عاقل من الإنس والجن .
- لابد للتدبر من قواعد يتأسس عليها، منها: معرفة اللغة العربية، والدراية بأسباب النزول، وإنزال معاني القرآن على الواقع، وفهم السياق والمقاصد القرآنية، والتأني في القراءة مع حضور القلب، ونداوة صوت المرتل وحسن الاستماع.
- الفقه المقاصدي من أشرف علوم الشرع وأدقها، لا يفيد فيه إلا ذو بصيرة وقّادة ، وقريحة صافية ، وعلم غزير ، واجتهاد منضبط ، وذهن لطيف ، وفهم صحيح وذوق سليم، وهو روح الشريعة ، وأمين سرها ، وعنوان كمالها وعدلها ورحمتها وحكمتها .

اقتضت طبيعة البحث تحقيقاً لأهدافه أن يتم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: حقيقة التدبر وأهميته والفقه المقاصدي .

المبحث الثاني: أركان التدبر وقواعده ومراتبه وصلته بالفقه المقاصدي.

المبحث الثالث: أثر تدبر القرآن في الفقه المقاصدي.

إضافة إلى الخاتمة والتي تشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب والحكمة، وأيّده بمعجزة القرآن الكريم ، وأرسله للعالمين معلّماً ورحمة، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين سيد ولد آدم محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه والتابعين، وبعد:

فإن من بشير اليُمن وطالع السَّعد أن تُرى أمة الإسلام اليوم وهي في خضمّ ما تعانيه من ابتلاءات ومحن ؛ مقبلة على كتاب ربها استماعاً وتلاوة وحفظاً وتدبراً وتفسيراً وتعلماً واحتكاماً وعملاً وتفعيلاً ؛ ذلك أنها أدركت تمام الإدراك وعلمت علم اليقين أن تحقيق مقاصدها وتلبية مطالبها رهين بالعودة وتجديد الفهم للقرآن الذي يحمل لها بشريات المستقبل ، والثقة كائنة والأمل معقود وهما يبشران بأن المستقبل لهذه الأمة؛ ما دامت متمسكة بالقرآن، متدبرة لآياته، فقيهة لنصوصه، مدركة لمقاصده، لا سيما وأنه المخرج الأصيل مما يصيبها من إحن وفتن، كما في حديث علي ﷺ : (ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟. قال: كتاب الله)[1].

ويقيني أن فقه النص القرآني ودلالته وإدراك مقاصده والاجتهاد في وسائل تنزيلها على الواقع قضية هي من الأهمية بمكان ، وهذا النص القرآني وُضع في جو وطبيعة تحيط بها الظروف والعوامل الداخلية والخارجية من سباق وسياق ولحاق، فالقرآن لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط بينهما ناظم. وفقه هذا كله لا يتأتى إلا بحقيقة التدبر وهي التأمل والتفكر لآيات القرآن الكريم مع حضور القلب وخشوع الجوارح من أجل فهمها وإدراك معانيها ومقاصدها والعمل بمقتضى أحكامها . فالتدبر هو الهدف الأساس من نزول القرآن ، يقول الحق – سبحانه وتعالى– : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد والغايات، ومن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن ، تبين له المراد، وعرف الرسالة والهدى والرشاد، واطمأنَّ قلبه إلى ذلك تمام الاطمئنان وعَبَد مولاه في مقام المشاهدة.

فالتدبر بسلالم مرقاته: التأمل فالتأثر فالاستجابة فالفهم التام فالعمل بالأحكام ؛ لتحقيق عبادة الرحمن ومصالح الإنسان، أمر مطلوب بل شعيرة على الوجوب، ولا يمكن تحصيل ذلك كله إلا بفقه لسان العرب وفهم سياق التنزيل وأسباب النزول ، فهماً على نهج السلف الوسطي القويم بقلب سليم ؛ إذ يقول تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٧٣/٥) ح(٢٩٠٦). وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول.

فالتفاعل مع القرآن والتحلُّق في آفاق آياته بتأمل معانيها وفهم سياقها وتذوق حلاوتها ، له تأثير بليغ في الكشف عن معرفة مقاصد الشريعة ومكارمها ؛ إذ لا محيص للمتدبر عن رد آخر الكلام على أوله وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل به الوقوف على مقصود الشارع.

ولست مبالغاً إن قلت: إن تدبر القرآن هو آية العبقرية المقاصدية، وأساس المنهجية التأصيلية، وميزان الفتاوى والأحكام الشرعية، وإنَّه الأجدر بأن يضمن عوامل البقاء والارتقاء للأمة الإسلامية.

من أجل ذلك كله –وبعد طلب العون من الله تعالى– ارتأيت أنه من الممكن أن أكتب بحثاً أقدّمه مهراً للمشاركة في المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم ، وأنا في غاية السعادة بذلك ، لأجد نفسي خادماً لكلام ربي مع ثُلّة أفنت زهرة الحياة في هذا العمل المبارك العظيم ، وربنا الرحمن إذ يقول : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴾ [مريم: ٧٦].

وهذه الدراسة المتواضعة تنضوي تحت المحور الثاني(١): أثر تدبر القرآن الكريم في الارتقاء بالأمة (تدبر القرآن ومقاصد الشريعة) ، وجعلتها بعنوان: " أثر تدبر القرآن الكريم في الفقه المقاصدي ".

أهمية موضوع البحث:

تظهر أهمية هذا الموضوع في النقاط الآتية:

- استجابة لدعوة الله – تعالى – عبادَهُ لتدبر كتابه المبارك.
- التدبر من أجلّ الأعمال القلبية والعقلية وأشرفها ؛ لارتباطه التام بفهم القرآن الكريم.
- التدبر هو الغاية الأسمى من إنزال كتاب الله – تبارك وتعالى – .
- نيل بركة القرآن الكريم من خلال تدبره والتفكر في آياته الباهرة.
- حثّ الأمة على تدبر القرآن الكريم للعمل به واستخراج لآلئه لتسعد في الدارين.
- الارتقاء بالتدبر إلى منزلة الخيِّرية المتميّزة بها هذه الأمة الإسلامية.
- فهم القرآن الكريم واكتساب الفقه المقاصدي بواسطة التدبر.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث فيما يلي:

- غياب الوعي بأهمية تدبر القرآن الكريم ودوره الرائد في الارتقاء بالأمة.
- عدم تفعيل الآليات والمناهج لتدبر القرآن والاكتفاء بقراءته وحفظه دون تدبر.
- الابتعاد عن منهج السلف المعتدل في تدبر القرآن الكريم ورعاية حقوقه.
- تجاهل أثر التدبر واستثماره في توسيع الفقه المقاصدي.

(١) من محاور المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم.

أسئلة البحث:

- ما حقيقة التدبر وأهميته؟ وما حقيقة الفقه المقاصدي وأهميته ومجالاته؟.
- ما أركان التدبر وقواعده ومراتبه ؟ وما العلاقة بينه وبين الفقه المقاصدي؟.
- ما أثر التدبر في الفقه المقاصدي؟.

أهداف البحث:

يمكن إجمال الأهداف في الأمور التالية:

- ♦ إظهار جماليات الإسلام ومحاسنه من خلال فهم معاني القرآن والوقوف على مقاصده وغاياته.
- ♦ إبراز دور تدبر القرآن وفاعليته وتأثيره الأكبر في الفقه المقاصدي، توثيقاً للصلة بينهما.
- ♦ الارتقاء بالأمة في كافة مناحيها ؛ لتكون أهلاً لتفعيل المنهج الرباني وقيادة الإنسانية نحو عمارة الكون .
- ♦ الكشف عن جهود العلماء السابقين والمعاصرين في ترسيخ منهجية فهم القرآن الكريم.
- ♦ تذكير الأمة للقيام بمسؤوليتها تجاه كتاب ربها، وتجديد العهد ببعث الهمة في أجيال المستقبل لربطهم برسالة السماء.

منهج البحث:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي في استقصاء المعلومات المتعلقة بالتدبر والفقه المقاصدي وشواهدها القرآنية، كما استخدمت المنهج الاستنباطي والتحليلي في تحصيل الثمار اليانعة من خلال تحديد آثار تدبر القرآن على العقلية المقاصدية وتوسيع دائرة الفقه المقاصدي.

كما درجت على أن أوثّق للآيات القرآنية في صلب البحث، واكتفيت بأن أوثّق للمعلومات بذكر اسم الكتاب ومؤلفه فقط على الهامش ، وما سواهما مضمّن في مصادر البحث.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تحقيقاً لأهدافه أن يتم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث بين مقدمة وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: تناولَتْ أهمية الموضوع ، ومشكلته ، وأسئلته ، وأهدافه ، والمنهج المتبع في الدراسة، وخطة البحث.

المبحث الأول: حقيقة التدبر وأهميته والفقه المقاصدي.

المطلب الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم وأهميته.

المطلب الثاني: مفهوم الفقه المقاصدي وأهميته ومجالاته.

المبحث الثاني: أركان التدبر وقواعده ومراتبه وصلته بالفقه المقاصدي.

المطلب الأول: أركان التدبر وقواعده .

المطلب الثاني: مراتب التدبر وصلته بالفقه المقاصدي.

المبحث الثالث: أثر تدبر القرآن في الفقه المقاصدي.

المطلب الأول: مفهوم الأثر وبيان منهج السلف في التدبر وأبعاده المقاصدية.

المطلب الثاني: أثر تدبر القرآن في بناء العقلية المقاصدية.

المطلب الثالث: أثر تدبر القرآن في توسيع الفقه المقاصدي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

والله – تعالى – أسال أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به المسلمين، ويؤهّلنا جميعاً لخدمة كتابه المبين، ويسدّد على طريق الخير الخطى ، ويكتب لنا القبول والرضا ، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، آمين.

❁❁❁❁❁

المبحث الأول: حقيقة التدبر وأهميته والفقه المقاصدي.

إن لكل شيء حقيقة ومفهوماً، فما حقيقة التدبر؟ وما أهميته؟ ثم ما حقيقة الفقه المقاصدي؟ وما أهميته؟ وما مجالاته؟. للإجابة عن هذه الأسئلة ، يتفرع هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم تدبر القرآن وأهميته.

لا شك في أنَّ أُولى المقاصد والحِكَم من نزول القرآن الكريم ، هي التدبر والتذكر والتفكر في آياته ، واستنباط أحكامه ومدلولاته ، يقول تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩] ، فبالتأمل والتدبر للقرآن ؛ تُجلب بركاته وتُحصد خيراته، وتُدرك مقاصده وغاياته، كما تفهم أحكامه من أوامره ونواهيه وعظاته. وحقيق بي فيما يلي أن أستعرض معنى التدبر في اللغة والشرع، ثم أهميته:

أولاً: معنى التدبر في اللغة والشرع:

معنى التدبر في اللغة:

وقف أهل اللغة عند مادة (د ب ر) كثيراً وعدّدوا معانيها ومشتقاتها ومرادفاتها؛ ولكني هاهنا أذكر ما قالوه مجملاً، فأقول –وبالله التوفيق–:

التدبّر مصدر على وزن التَّفَعُّل ؛ من تدبَّر يتدبَّرُ تدبُّراً وتدبيراً. وأصله: التأمل والتفكّر والنظر في أدبار الأمور وعواقبها . تقول : تدبَّر الأمر: نظر في عواقبه وتفكّر فيه ، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ [النازعات: ٥].

وتدبَّر القول: نظر في أوله وآخره مراراً وتكراراً، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

فصيغة التدبر تدل على تطلُّب الفعل وتكلُّفه ، والتحصُّل عليه بعد جُهد وتمهُّل وتأمُّل، ومن معانيها: التفكر والتفهم والتعقل والتعقب(١).

معنى التدبر في الشرع:

هنالك صلة وثيقة بين معنى التدبر لغة ومعناه شرعاً ، فكما أن التدبر لغة يدل على التفكّر والتفهّم والتأمل والنظر في العواقب ، فكذلك الحال في المعنى الاصطلاحي الشرعي .

وفيما يلي اكتفي لضيق المقام بإيراد بعض تعريفات المعاصرين والمهتمين بقضية التدبر، وهي أنَّ تدبر القرآن الكريم معناه :

- التفكّر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة(٢).
- التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك(٣).
- تفهّم معاني ألفاظه والتفكّر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرّج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات(٤).
- النظر إلى مغزى الآيات القرآنية والتوصل إلى مقاصدها وأهدافها ، وما ترمي إليه عن طريق إعمال الفكر والتأمل ، وبذل الجهد الذهني في فهم الآيات(٥).
- النظر والتفهّم والتفكر في عاقبة ما تؤول إليه الأمور التي ذكرها الله في القرآن الكريم، والاستفادة من ذلك في إيمان العبد، وظهور أثره في جوارحه(٦).
- الفهم لما يُتلى من القرآن، مع حضور القلب وخشوع الجوارح، والعمل بمقتضاه(٧).

وفي ضوء هذه التعريفات، أستطيع أن أعرّف التدبر بأنه: **التبصُّر الموصل إلى دلالات آيات القرآن، وما وراءها من حِكَم وأسرار، بقصد الانتفاع بها علماً وإيماناً وعملاً.**

---

(١) انظر مادة (دبر) في: لسان العرب، ابن منظور (٢/٢٧٣)، القاموس المحيط، الفيروز أبادي (٢/٨٤)، أساس البلاغة، الزمخشري (١/١٣٠)، المصباح المنير، الفيومي (١/١٩٠)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/٢٦٦)، الصحاح ، الجوهري (٢/٦٥٥) ، التعريفات ، الجرجاني (١/٧٦) .

(٢) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن الميداني، ص١٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢/١١٢).

(٤) تدبر القرآن، سلمان بن عمر السنيدي، ص٩.

(٥) تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، رقية طه جابر العلواني، ص٦.

(٦) تدبر القرآن وأثره في تزكية النفوس، محمد عمر بن سالم بازمول، ص٨.

(٧) مشروع الحياة من جديد، أسماء بنت راشد الرويشد، ص ٩.

شرح التعريف:

"**التبصُّر**": أي التأمّل ببصيرة القلب والعقل، وذلك بتقليب النظر وإطالة الفكر لنيل العِبر والعظات من الآيـات ؛ لقولـه تعـالى: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٨]، وقولـه سـبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

"**الموصل**": أي من الوصول، وهو بلوغ الشيء بعد جُهد وتأمُّل وتمهُّل.

"**دلالات الآيات**": معانيها المستنبطة وتأويلاتها السليمة ومحكماتها العظيمة.

"**الحِكم والأسرار**": مقاصد الآيات وغاياتها القصوى، وتشمل عبادة الخالق ، ومصالح المخلوق.

"**بقصد الانتفاع**": أي لا بد أن يقصد المتدبر الانتفاع بتدبره، فالأمور بمقاصدها.

"**علماً**": أي معرفة بأحكام الآيات ونحوها ، وفهمها فهماً مقارباً لجميع أبعادها ؛ لأنَّ القرآن الكريم رسـائل تخاطـب العقـل ، قـال تعـالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣].

"**إيماناً**": أي تصديقاً وامتثالاً وخشوعاً واعتباراً وتعظيماً لكلام الله – تبارك وتعالى – .

"**عملاً**": أي تطبيقاً على حال النفس وواقع الحياة. والعمل شرط أساس للتدبر ومميِّز له عن غيره، بل هو الثمرة المرجوّة من قضية التدبر.

ومـن هنـا نعلـم بـأن التـدبر واجـبٌ ومـأمور بـه حـتى الكفـار ؛ لـذلك خـاطبهم الله — تعـالى – بصيغة الإنكار فقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]. وإذا كانت الحجارة والجبال الصم الراسيات لو نزل عليها القرآن ؛ لتدبرته وتفهّمته، كما في قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الحشر:٢١]. فما بالك بمن وهب الله — تعالى – له قلباً وحباه عقلاً، ولكن الله وصف قلوب المعاندين بأنها كالحجارة أو أشد قسوة، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقـرة: ٧٤] ، وهـذه الآيـة تـدل علـى أن صـحة التـدبر وسلامته متوقفة على صحة القلب وسلامته ، وإلا لمِاَ أنكر الله — تعالى – عليهم بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [سـورة محمـد: ٢٤] ، وقـد قـال عثمـان ذو النـورين ﷺ : " لـو طهـرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم "(١).

ثانياً: أهمية التدبر القرآني:

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، ص٦٨٠. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣٠٠)، وإسناده منقطع.

يستمد التدبر أهميته من أهمية المتدبَّر وهو كلام الله العزيز الذي فضْلُه على سائر الكلام كفضل الله – تعالى – على خلْقه ، وقراءته أفضل ما تَحرَّك به اللسان ، فهو أُسّ صلاح القلوب ورحمتها وربيعها وحياتها ، كما يقول رسول الله ﷺ : (اقرأ القرآن فإن الله لا يعذّب قلباً وعى القرآن)(١). ويقول أيضاً: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخَرِب)(٢).

وتأمل معي في صفة: "الخَرِبْ" ومعناها وما تحمله بين ثناياها!، أي الخراب الفارغ من معاني الحياة. وفي الحديث: أُطلق الجوف وأريد به القلب ، إطلاقاً لاسم المحل على الحال، كما في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[سورة الأحزاب:٤]، وشُبِّه بالبيت الخرب بجامع أن القرآن إذا كان في الجوف يكون عامراً مُزيّناً بحسب قلة ما فيه وكثرته، وإلا فهو كالبيت الخَرِب الخالي عما يعمره من الأثاث والتجمل(٣).

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله – : " إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسّك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه ؛ لأنه معلوم من دين الأمة. وإذا كان كذلك، لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الليالي والأيام ؛ نظرًا وعملًا، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبُغية، وأن يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول، فإن كان قادرًا على ذلك، ولا يقدر عليه إلا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبيّنة للكتاب، وإلا؛ فكلام الأئمة السابقين، والسلف المتقدمين آخذٌ بيده في هذا المقصد الشريف، والمرتبة المنيفة"(٤).

الأمور التي تُظهر أهمية التدبر:

كثيرة هي الأمور التي تشرق فيها أهمية التدبر ، فهي أجلّ من أن تُحصى وأكثر من أن تُستقصى ، وحسبي أن أذكر منها ثلاثة:

الأولى: فيض القلب المتدبِّر بالنور والإيمان والبهجة والشوق والرضا وغيرها من عوامل الحياة، وصونه عن معاول العمى والغشاوة والزيغ والضلال.

فلأن القرآن الكريم نزل على القلب ، كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٤] فهو حال يُعاش ، وما في القلب لا يعلم به إلا مقلّبه وهو الله

(١) حديث أبي أمامة، أخرجه الدارمي في سننه (٥٢٤/٢) ح(٣٣١٩).
(٢) حديث ابن عباس، أخرجه الترمذي في سننه (١٧٧/٥) ح(٢٩١٣). وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري (٢٠٩/٧).
(٤) الموافقات (١٤٤/٤).

– سبحانه – . قال ابن القيم – رحمه الله – : " وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر ؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله "[١].

وقال سيد قطب – رحمه الله – : " تدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرّك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلّص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير"[٢].

وقال الشيخ السنيدي: " إن قلب المتدبر للقرآن ينتابه تطلع وتشوُّف ، كما ينتاب المريض شعور بالبحث عن العلاج، ... ولا عجب أن يجد القلب راحته في تدبر القرآن وتفهم ألفاظه ومقاصد آياته "[٣].

الثانية: أفضل الوسائل المعينة على استنباط الأحكام والحِكم من الآيات، بل مؤهل للتطلع إلى سماء معاني القرآن وغاياته . قال ابن القيم: " واعلم أن الرجل قد يكون له قلب وقّاد مليء باستخراج العِبر واستنباط الحِكم، فهذا قلبه يوقعه على التذكر والاعتبار ، فإذا سمع الآيات كانت له نوراً على نور، وهؤلاء أكمل خلق الله وأعظمهم إيماناً وبصيرة "[٤].

الثالثة: مفتاح المعارف كلها وأصل الفوائد جمعها، ومن أجْله أُنزل القرآن.

قال الإمام الغزالي – رحمه اللّه – : " كثُر الحثّ في كتاب اللّه – تعالى – على التّدبّر والاعتبار والنّظر والافتكار، ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار ، ومبدأ الاستبصار ، وهو شبكة العلوم ، ومصيدة المعارف والفهوم ، وأكثر النّاس قد عرفوا فضله ورتْبَتَه لكنْ جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره "[٥].

وقال ابن تيمية – رحمه الله – : " من تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبين له طريق الحق "[٦].

وذكر ابن القيم كلاماً رائعاً قيِّمًا تأمله معي ، حيث قال: " فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده ، وأقرب إلى نجاته مِن تدبّر القرآن ، وإطالة التأمل، وجمْع الفكر فيه على معاني آياته، فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما،... وتثبّت قواعد الإيمان في قلبه، وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم ، وتبصّره مواقع العِبر، وتُشهده عدل الله وفضله،... وتُعرّفه النفس وصفاتها،... وتعرّفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم،... وتعطيه قوة في قلبه وحياةً وسعةً وانشراحاً وبهجةً وسروراً ، فيصير

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٨٧).
(٢) في ظلال القرآن (٦/٣٢٩٧).
(٣) تدبر القرآن للسنيدي ، ص ٦.
(٤) مدارج السالكين (١/٣٣٥).
(٥) إحياء علوم الدين (٤/٤٢٣).
(٦) مجموع الفتاوى (٣/١٣٧).

في شأن والناس في شأن آخر ،... فلا تزال معانيه تنهض بالعبد إلى ربه بالوعد الجميل ،... وتصدّه عن اقتحام طرق البدع والأضاليل ، وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل ،... وتثبّت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل،... وتناديه كلما فترت عزماته وونى في سيره: تقدَّم الركْب وفاتكَ الدليل ، فاللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل. ... وفي تأمل القرآن وتدبره أضعاف ما ذكرنا من الحِكَم والفوائد"[1].

ومن هنا فحاجتنا إلى تدبر القرآن ماسة كي تستيقظ الأمة من سباتها وتجدّد معاني الحياة في جسدها، وتعود إلى مكانتها المرموقة وتعيد مجدها السليب ، ولْتعلم أن تأخّرها كان بسبب هجرها للقرآن الكريم تلاوة ، وتدبراً ، وفقهاً ، وتطبيقاً ، واحتكاماً ، واستشفاء ، وتفعيلاً ، وتعظيماً .

المطلب الثاني: مفهوم الفقه المقاصدي وأهميته ومجالاته.

أولاً: تعريف الفقه المقاصدي:

الفقه المقاصدي عبارة مركّبة من كلمتين؛ هما: "الفقه" و"المقاصدي"، فالأولى منسوبة للثانية، ولذا يُعرّف باعتبارين: الأول: بحسب التركيب، والاعتبار الثاني: بحسب المصطلح.

الاعتبار الأول: تعريف الفقه المقاصدي بحسب التركيب:

١/ **تعريف الفقه لغة واصطلاحاً:**

الفقه لغة: يطلق ويراد به معنيان: عام وخاص.

فالأول: مطلق الفهم، يقال: فقِه بالكسر: يفقَه كعَلِم يعلَم، أي إذا فهم مطلقاً، سواء أكان الفهم دقيقاً أم سطحياً. وفقُه بالضم: يفقه مثل كرُم يكرم، أي صار الفقه له سجية، ويقال: تفقه الرجل تفقهاً، أي تعاطى الفقه، ومنه قوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [سورة التوبة: ١٢٢]. والفقه بهذا المعنى هو العلم بالشيء والفهم له[2].

والثاني: الفهم الدقيق المتعمّق الناتج عن التفكّر والنظر، وليس الفهم مطلقاً، والشاهد قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٧٨][3].

الفقه اصطلاحاً: يُعرّف من جانبين من جانب عمومه كما عند أبي حنيفة – رحمه الله – ؛ لأن الفقه بالمعنى العام يشمل فقه الحياة كلها، ومن جانب كونه مصطلحاً خاصاً كما عند جمهور الفقهاء .

---

(١) مدارج السالكين (١/٣٤١-٣٤٢).

(٢) انظر مادة (فقه) في: لسان العرب، ابن منظور (٥٢٢/١٣)، تاج العروس، الزبيدي (٤٥٦/٣٦)، تهذيب اللغة، الأزهري (٢٦٣/٥).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز أبادي (١٧١٤/١).

الأول: تعريف أبي حنيفة: "معرفة النفس مالها وما عليها"[1]. وهذا التعريف عام يطال الفقه الأكبر وهو علم العقيدة ؛ ولذا أضاف الأحناف عليه كلمة "عملاً" لتقييده كي تخرج الأحكام الاعتقادية، وتبقى العملية لوحدها؛ لأن الفقه الذي يقصدون يتعلق بالجوانب التعبدية العملية[2].

الثاني: تعريف الجمهور: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"[3].

٢/ **تعريف المقاصد لغة واصطلاحا:**

المقاصد لغة: جمع مقصد؛ وأصلها من الفعل الثلاثي (ق ص د)، يقصِد قصْداً ومقصِداً، والقصد يطلق ويراد به عدة معانٍ لغوية، منها:

- العدل والتوسط في الأمور: كما في قوله تعالى: ﴿ **وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ** ﴾ [سورة لقمان: ١٩]، أي: توسط فيه.
- الاعتماد والأَمّ وطلب الشيء: كما جاء في الحديث: (فقصدت عثمان حتى خرج إلى الصلاة)[4]، أي: طلبته بعينه.
- استقامة الطريق: كما في قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ** ﴾ [سورة النحل: ٩]، أي: الطريق المستقيم.
- القرب: كما في قوله سبحانه: ﴿ **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا** ﴾ [سورة التوبة:٤٢]، أي: قريباً هيّن السير[5].

وأقرب المعاني المقصودة هو معنى الأَمّ وطلب الشيء والتوجه.

المقاصد اصطلاحاً: عُرّفت بعدة تعريفات منها:

- تعريف محمد الطاهر بن عاشور بأنها: "المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"[6].
- تعريف علال الفاسي بأنها: "الغاية والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حُكم من أحكامها"[1].

---

(١) مرآة الأصول، منلا خسرو (٤٤/١)، التوضيح لمتن التنقيح، صدر الشريعة (١٠/١).

(٢) أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي (١٩/١).

(٣) نهاية السول، الأسنوي (٢٤/١)، الإحكام، الآمدي (٧/١)، جمع الجوامع، السبكي (٤٣/١).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٦٧/٧) ح(٣٦٩٦).

(٥) انظر: تاج العروس، الزبيدي (١٩٠/٥)، لسان العرب، ابن منظور (٣٥٣/٣)، أساس البلاغة، الزمخشري (٨٠/٢)، المصباح المنير، الفيومي ص٣٠٠، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٣٩٦، مختار الصحاح، الرازي، ص٥٣٦، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٩٥/٥).

(٦) مقاصد الشريعة للطاهر ابن عاشور ، ص٥١.

- تعريف محمد سعد اليوبي بأنها: "المعاني والحِكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد"(٢).
- تعريف أحمد الريسوني بأنها: "الغايات التي وُضِعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"(٣).
- تعريف نور الدين الخادمي بأنها: "المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حِكَماً جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين"(٤).
- تعريف يوسف حامد العالم بأنها: "الغاية التي يرمي إليها التشريع ، والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من الأحكام"(٥).

الاعتبار الثاني: تعريف الفقه المقاصدي بحسب المصطلح.

لقي علم مقاصد الشريعة مكانة لائقة وعناية فائقة من قِبل علمائه القدامى والمحْدَثين، وانفتح الباب على مصراعيه في العصر الحديث للإسهام في تطويره والاجتهاد في تأطيره، تحت مجموعة مسميات ومصطلحات جديدة، مثل: "الفقه المقاصدي" و"الفكر المقاصدي" و"الاجتهاد المقاصدي" و"نظرية المقاصد" و"الثقافة المقاصدية" ونحوها، وذلك توسيعاً لمواعينه ، وتقنيناً لقوانينه ، وتقعيداً لقواعده ؛ وتأصيلاً لنظرياته؛ مسايرة لحياة العصر، وتحقيقاً لوجوده ، وتأثيره على أرض الواقع ثقافة وتنظيراً ، وفكراً ، ووعياً ، وتطبيقاً ، وتفعيلاً.

ومن ثَمّ فالمراد بعبارة "الفقه المقاصدي" – على ما يبدو لي – هو: تأسيس فقه الواقع والحياة اعتماداً على مقاصد الشريعة، أو هو بناء فقه النوازل والاجتهاد فيه في ضوء المقاصد الشرعية، أو هو الفقه الواقع في دائرة مقاصد الشريعة الإسلامية، أو هو العمل بالمقاصد والاعتماد عليها والالتفات إليها أثناء عملية فهم النصوص والاجتهاد واستنباط الأحكام، أو هو الفهم المستنير لمقاصد الشريعة المعتمد على قواعدها المستثمر لفوائدها(٦).

ومن هذا المنطلق لابد وأن يُفعّل علم المقاصد لفقه الدين والحياة ؛ امتثالاً لقول ربنا —سبحانه – : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢]، وخاصة المقاصد القرآنية التي يُهتدى إليها بالتدبر والتأمل في معاني آيات القرآن الكريم.

---

(١) مقاصد الشريعة ومكارمها لعلال الفاسي ، ص٣.
(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد سعد اليوبي ، ص٣٧.
(٣) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لأحمد الريسوني ، ص٧.
(٤) الاجتهاد المقاصدي.. حجيته.. ضوابطه.. مجالاته، لنور الدين الخادمي ص٢٥.
(٥) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ليوسف حامد العالم ص٧٩.
(٦) التعريف الأخير مقتبس من كتاب "الفكر المقاصدي قواعده وفوائده"، د. أحمد الريسوني، ص٣٥.

ثانياً: أهمية الفقه المقاصدي:

الفقه المقاصدي ينتسب إلى علم مقاصد الشريعة، وهو من أشرف العلوم الشرعية وأدقّها وأجلّها، لا يفيد فيه إلا ذو بصيرة وقّادة ، وقريحة صافية ، وعلم غزير ، واجتهاد منضبط ، وذهن لطيف ، وفهم صحيح ، وذوق سليم، وهو روح الشريعة ، وأمين سرها ، وعنوان كمالها وعدلها ورحمتها وحكمتها.

يقول ابن القيم – رحمه الله – : " فإن الشريعة مبناها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل "[(١)].

وتظهر أهمية هذا العلم الجليل في أنه حلقة الوصل بين الحُكم والحِكمة الشرعيين، فضلاً عن أنه يُبدي جماليات الشريعة ومحاسنها وخصائصها، ويصونها من العبث والتغيير والانحراف في التأويل والاستنباط، ويكتسب أهميته بجلاء في أنه العامل المحضّ على الالتزام بتعاليم الإسلام وتطبيقها على أرض الواقع قولاً وعملاً، فهو مهمّ للمسلم من حيث العموم والخصوص، من حيث زيادة الإيمان بالله ﷻ ، ورسوخ العقيدة في القلب ، وتحقق العبودية لله — تعالى – . يقول الإمام الشاطبي : " المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبدٌ لله اضطراراً "[(٢)].

وهو مهمّ للمسلم من حيث إنه يحميه من آثار التغريب والثقافات الوافدة الهدامة والغزو الفكري المدمّر ، وذلك بعد معرفته للمصالح والمفاسد ، كما أنه يصقل لُباب المسلم المجتهد ويحثّه على تكوين المِلكة الفكرية ، والبصيرة الوقّادة ، والأفق المعرفي الذي يستطيع من خلاله إدراك مقاصد الشريعة واستنباطها من نصوص الشرع الحنيف.

وخلاصة أهمية الفقه المقاصدي نذكرها في النقاط الآتية:

أولاً: أهميته بالنسبة للمسلم العادي، وتظهر في:

١. زيادة الإيمان بالله – تعالى – ورسوخ العقيدة في القلب ؛ كي يحصل عنده الصدق والقناعة بعظمة دينه.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١٤/٣).

(٢) الموافقات (١٤١/٢).

٢. المحافظة عليه من الغزو الفكري وما يبدو له من تحسين للمبادئ الهدامة، وإخفاء محاسن الشريعة، من خلال وقوفه على علم المقاصد ودرايته.

٣. موافقته لمقصد الشارع، حيث إن مقاصده يجب أن تكون تابعة لمقاصد الشرع ومحكومة بها.

٤. تحقيق عبودية الله – تعالى – ، فكما أن الخلق عباد لله كوناً، فلا بد وأن يكونوا عباداً له شرعاً وديناً.

٥. الإقبال على تطبيق الشريعة؛ لأن الطبيعة البشرية تحب ما ينفعها وتميل إليه، فحينما يعرف المصالح المترتبة على الطاعات يطمئن إليها ويُقبل عليها، والعكس.

ثانياً: أهمية الفقه المقاصدي بالنسبة للمجتهد والفقيه والعالم والباحث:

١. فهم النصوص ، وتدبرها ، وتفسيرها ، ومعرفة دلالتها وأحكامها وعللها.

٢. الترجيح بين الأدلة المتعارضة والتوفيق بينها.

٣. معرفة أحكام النوازل والوقائع المستجدة التي تستدعي المعالجة الشرعية لها وِفق المنظور المقاصدي.

٤. تنزيل الأحكام الشرعية على الظروف المكانية والزمانية، ومراعاة فقه الأولويات والموازنات.

٥. تحقيق التوازن والاعتدال في الأحكام وعدم الاضطراب[(١)].

٦. تأهيل المجتهد لممارسة الاجتهاد وإحداث التأصيل الإسلامي للعلوم.

٧. حماية الشريعة من الانحراف في الاستدلال والاستنباط، وصيانة الشريعة من العبث والتغيير.

ثالثاً: مجالات الفقه المقاصدي:

يمكن ذكرها سرداً في إيجاز وجيز؛ لأن المجال لا يسع للحديث عنها، وهي[(٢)]:

١/ اعتبار المصالح والمفاسد مطلقاً.

٢/ النوازل المعاصرة.

٣/ مسائل الاجتهاد الظنية والتي لا نص عليها.

٤/ التعارض بين الظنيات.

٥/ السياسة الشرعية.

٦/ اعتبار فقه الموازنات.

٧/ اعتبار فقه الأولويات.

٨/ تأصيل العلوم.

---

(١) مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ص ١٨٣، الإسلام مقاصده وخصائصه، محمد عقلة، ص١٠٠، مقاصد الشريعة، محمد الزحيلي، ص٦.

(٢) نظرات في التأصيل (غير منشور)، د. مبارك المصري، ص ٢٨ وما بعدها، أبحاث في مقاصد الشريعة، د. الخادمي، ص ٦٤ وما بعدها.

٩/ الإعجاز العلمي.

المبحث الثاني: أركان التدبر ، وقواعده ، ومراتبه ، وصِلته بالفقه المقاصدي.

هذا المبحث يقوم على مطلبين : يتناول الأول: الأركان الأساسية للتدبر ، والقواعد والضوابط التي تحكمه ؛ كي يكون تاماً سليماً، ويناقش المطلب الثاني: مراتبه ، ودرجاته حسب تفاوت فهم المتدبِّرين وصفاء قلوبهم وحبهم، كما يبيّن الصلة التي تربط بين التدبر والفقه المقاصدي.

المطلب الأول: أركان وقواعد التدبر.

أولاً: أركان التدبر:

لكي نبيّن أركان التدبر لابد من النظر إليها باعتبارين:

١/ باعتبار أصل التدبر ولفظه وماهيته:

بهذا الاعتبار يمكن تصنيف أركان التدبر إلى ثلاثة:

أ/ المتدبِّرون: وهم الموجَّه إليهم الخطاب الرباني ، لفهمه والعمل به، وهم الثقلان الإنس والجن. وفي اعتقادي أن عالم الجن مخَاطب بتدبّر القرآن ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [سورة الجن:١– ٢].

ب/ المتدبَّر: وهو القرآن الكريم بسوره وآياته المتلوة فيه ، ومعانيه المنظورة في الكون ومقاصده وأحكامه.

ج/ عملية التدبر(أدواته): وهي مجموعة القواعد المتعيِّنة على المتدبِّر، والمعِينة له على تمام التدبر وسلامته، وسيأتي بيانها.

٢/ باعتبار تعريف التدبر ومدلوله:

عرّفنا التدبر بأنه: التبصُّر الموصل إلى دلالات آيات القرآن وما وراءها من حِكم وأسرار بقصد الانتفاع بها علماً وإيماناً وعملاً.

وبالنظر إلى هذا التعريف نجد أن للتدبر ركنين أساسيين:

أ/ الركن العلمي (النظري): ويتحقق بالتبصُّر الموصل إلى معاني الآيات ودلالاتها ، والعلم بها ، والفهم لها ، والتأمل فيها ، والوقوف على أبعادها وأحكامها ومقاصدها.

ب/ الركن التطبيقي (ثمرة التدبر): ويمكن تحقيقه من خلال التوصل إلى عرائس المعاني والموجّهات ومقاصد الآيات ونحوها ؛ بقصد الانتفاع بذلك في:

- غزارة العلم ، وترسيخ الفهم ، وتكوين الملكة الفقهية ، وتنمية القدرات المقاصدية ، وتوسيع المدارك: فلأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا يَخْلق من كثرة الرد ولا تشبع منه العلماء.

● زيادة الإيمان بعد العلم: والتي تتداعى إليه دلائل صدق الحال من خشوع ، وخشية ، وقشعريرة واستجابة ، واعتبار ، واستبشار ، وسجود ، وبكاء وتذكر؛ إجلالاً لله – سبحانه – وتعظيما وهداية، واسمع معي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر: ٢٣]. قال الجلال السيوطي – رحمه الله – : " ومن كمال الإيمان ومحض العرفان التدبر والتفكر "(١).

● العمل والتطبيق والأثر لعملية التدبر: والحال في هذا المجال لا تشرحه العبارة، ولكني أسوق أنموذجاً واحداً رائعاً لأحد صحابة رسول الله ﷺ في توضيح أثر التدبر.. تأمل معي كيف أثَّر التدبر في قلب الصحابي الجليل أبي الدحداح ﷺ !. فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [سورة البقرة: ٢٤٥]، قال أبو الدحداح: يا رسول الله أوَ إنَّ الله – تعالى – يريد منا القرض ؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح»، قال: أرني يدك؛ قال: فناوله؛ قال: فإني أقرضت الله حائطاً فيه ستمائة نخلة. ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعياله؛ فناداها: يا أم الدحداح؛ قالت: لبيك؛ قال: اخرجي، قد أقرضت ربي ﷻ حائطاً فيه ستمائة نخلة)(٢).

وفي رواية زيد بن أسلم: (لما نزل : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] ، قال أبو الدحداح : فداك أبي وأمي يا رسول الله! إنَّ الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: «نعم يريد أن يُدخلكم الجنة به». قال: فإنِّي إنْ أقرضت ربى قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟ قال: «نعم». قال: فناوِلني يدك، فناوله رسول الله ﷺ يده. فقال: إنَّ لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضًا لله – تعالى – . قال رسول الله ﷺ : «اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك»، قال: فأشهدك يا رسول الله أنى قد جعلت خيرهما لله – تعالى – ، وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال: «إذاً يجزيك الله به الجنة»)(٣).

هذا هو التأثير الذي ننشده!، صحابي له قلب أرقّ من النسيم وقف عند آية وتدبَّرها فحشدت جيوش معانيها لغزو قلبه فحرّكت دوافعه إلى أن يُقرض الله مئات من أشجار النخيل المثمر، إنها ثمار التدبر الحقيقية!.

ثانياً: قواعد التدبر:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/٣٣٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/٢٣٧).

(٣) المرجع السابق (٣/٢٣٨).

لكي تكون عملية التدبر صحيحة مؤثّرة، لابد لها من قواعد تتأسس عليها، من هذه القواعد:

١/ معرفة اللغة العربية وأساليبها المتنوعة:

فالاهتمام بلغة القرآن الكريم التي نزل بها وتعلُّمها وفهمها والتدرّب عليها؛ قاعدة مهمة من قواعد التدبر ؛ ذلك أنَّ القرآن لا يُفهم إلا بما نَزَل به ، وما نزل به هو اللغة العربية، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٣]. قال الدكتور الخطيب في تفسيره: " وأنه بهذا اللسان هو نعمة جليلة أنعم اللّه بها على العرب، الذين كان معهم وحدهم مفاتح الطريق إلى هذا النور، وكان إليهم قيادة الناس جميعاً إلى الهدى "[١]. فالغاية هي أن يعقلوه ويتدبّروه حين يجدونه بلغتهم وبلسانهم الذي يعرفون[٢].

٢/ معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية:

الوقوف على سبب النزول إذا ثبتت صحته وفهمه في سياقه، من أجلّ القواعد المعينة على تدبر القرآن ، وفهم معانيه ، وإسقاطه الصحيح على واقع الحياة، مع وجوب مراعاة القاعدة الأصولية: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[٣].

قال الإمام الشاطبي: " معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن "[٤]، وقال في موضع آخر: " الاعتبار بالقرآن قلّما يجيده إلا من كان من أهله عاملاً به، فلا يخرجون عند الاعتبار فيه عن حدوده، كما لم يخرجوا في العمل به والتخلّق بأخلاقه عن حدوده، بل تنفتح لهم أبواب الفهم فيه على توازي أحكامه "[٥].

ومن هنا كان لابد من استصحاب الأحوال والملابسات ، والظروف والحاجات ، والمقتضيات الواقعية العملية التي صاحبت نزول النص القرآني ؛ وذلك لإدراك وجهة النص وأبعاد مدلولاته وغاياته[٦].

٣/ إنزال معاني القرآن الكريم على الواقع:

هذه قاعدة في غاية الأهمية بالنسبة لأمة الإسلام في عصرها الراهن بل في كل عصر؛ لأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان ، بمعنى أنه لا يُخَصّ بنزوله زمن دون آخر ولا مكان دون آخر ولا جيل دون جيل ؛ وذلك لما تميّز به من العالمية والخاتمية والهيمنة والخلود والشمول. فكان لابد وأن ينتظم الحياة على امتداد العصور والأزمنة وكافة الأمكنة ويواكبها ويحكمها إلى ما شاء الله؛ فتدبُّر القرآن وفهمه رهين

---

(١) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (١٠٢/١٣).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٣١٧٦/٥).

(٣) انظر القاعدة في: أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي (٢٧٣/١).

(٤) الموافقات (٣٤٧/٣).

(٥) المرجع السابق (٨٤٩/٣).

(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢١٢١/٤– ٢١٢٢).

بإنزاله على واقع الأمة ومشكلاتها، فلا جدوى من التدبر إذا لم يُستثمر في واقع الحياة. وهذه بمثابة دعوة لأمة الإسلام اليوم وحتى قيام الساعة للقيام بتفعيل آليات إنزال القرآن الكريم على واقعها ببركاته ، ونسائم أجوائه العاطرة ، ومعانيه المشرقة ، وقدرته الفائقة لمعالجة قضاياها المعضلة ومِحنها الراهنة، ولن يصلح حالها إلا بما صلح به حال السلف الأوائل، ولن تعود إلى قيادتها وريادتها وكنزها وعزها إلا بفهْم كتاب ربها.

٤/ فهم السياق والمقاصد القرآنية:

يعتبر السياق القرآني من أبرز القواعد المساعدة على فهم القرآن الكريم وتدبره ؛ لأن التدبر – كما مرّ بنا– هو إمعان النظر والتأمل في سياق الآيات والربط بينها للوصول إلى مدلولها ومقاصدها ، فالسياق إعمال للتدبر وأداة لفهم النص ؛ لأنه العامل المؤثّر بسباقه ولحاقه على تأمّل معاني الألفاظ بما يحقّق كمال التطبيق لأوامر الشريعة السمحة، بل هو وسيلة من وسائل التوصل إلى مقاصد الشارع ومظانّ كشفها واستخراجها، كما أنه أصل أصيل من أصول التفسير والمعوّل عليه في علم الأصول. يقول ابن القيم – رحمه الله – : " السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوُّع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [سورة الدخان: ٤٩]، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير؟! "[١].

٥/ نداوة صوت المرتِّل وحُسن الاستماع والإنصات:

لابد من تحسين الصوت بالقرآن والترنّم به وتحبيره، وهو أمر ندب إليه الشرع لحكمة وهي تحقيق التدبر والتأثير ، والوقْع الطيب في النفوس ، وتذوق حلاوة القرآن ومعايشته ؛ وذلك لحديث أبي هريرة : (ما أَذِن الله لشيء ما أَذِن لنبيٍّ حسَنِ الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به)[٢]. وحديث سعد: (ليس منَّا من لمْ يتغنّ بالقرآن)[٣]، وغيرهما. وفي الأمر بالاستماع والإنصات، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٤].

٦/ التأني في القراءة، مع حضور القلب:

من القواعد التي ينبني عليها علم التدبر: التمهّل وعدم العجَلة في قراءة القرآن الكريم، فقد نهى الله – سبحانه – عن العَجَلة، في قوله: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي

---

(١) بدائع الفوائد (٤/٤١٥).

(٢) حديث أبي هريرة، أخرجه مسلم في صحيحه (٢/١٩٢) ح(١٨٨٣).

(٣) حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/٣٢٨) ح(١٢٠)، البيهقي في سننه الكبرى (١٠/٢٣٠) ح(٢٠٨٣٥)، أبو يعلى في مسنده (٢/٩٣) ح(٧٤٨)، وغيرهم.

﴿عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤]، كما أمر بتحقيق التلاوة والترتيل، في قوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [سورة المزمل: ٤]، ذلك كله لأجل أن يعي المستمع أو التالي خطاب ربه ؛ لأن الفائدة العامة التي تعود على القلب والجوارح والفكر هي عملية التدبر وأثرها. وعندما سئلت أم سلمة – رضي الله عنها – عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته، قالت: ما لكم وصلاته، ثم نعتت قراءته، فإذا هي تنعت قراءة مُفسَّرة حرفاً حرفاً[1].

فلابد إذن للتدبر من قواعد يتأسَّس عليها وهي كثيرة، ذكرتُ منها: معرفة اللغة العربية، والدراية بأسباب النزول، وإنزال معاني القرآن على الواقع، وفهم السياق والمقاصد القرآنية، والتأني في القراءة مع حضور القلب، ونداوة صوت المرتّل وحُسن الاستماع.

المطلب الثاني: مراتب التدبر وصلته بالفقه المقاصدي.

أولاً: مراتب التدبر:

لم يُصنّف التدبر على مرتبة واحدة، باعتبار أن المتدبّرين متفاوتون في درجاتهم العقلية والعلمية أشد التفاوت ؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة: ١١]. ومن ثَمّ فإن التدبر – في وجهة نظري – على ثلاث مراتب:

الأولى: تدبّر العموم، وهو الذي يُدرَك بأدنى تأمل، ويمكن تحقيقه بتصفح الآيات وإدراك معانيها الواضحة المفهومة لغة؛ من بشارةٍ ونذارةٍ ، وأوامر ونواهي ، وتوجيهات وقصص ودروس ونحوها، بقصد الانتفاع بها في الاعتبار والتأثر والاستجابة وغيرها. ومثاله: آيات إثبات صدق الرسالة ومخاطبة الفطرة البشرية ونحوها.

الثانية: تدبّر الخصوص، وهو يُدرَك بمزيد تأمّلٍ ونظرٍ ودقة ملاحظةٍ وقوة فطنة، ويتحقق بالوقوف عند معاني الآيات ومراميها وأسرارها ، والاستنارة بهداياتها ومقاصدها ؛ من أجل الانتفاع بها علماً وإيماناً وعملاً. ومثاله: آيات الاعتبار والأحكام وغيرها، وأهل هذه المرتبة هم الراسخون في العلم والإيمان.

الثالثة: تدبّر خصوص الخصوص: ويُدرَك بشهود القلب التام ، وفتْح الله – تعالى – ، والبصيرة الوقّادة ، والقريحة الصافية ، والذكاء اللمّاح ، والنظر الثاقب ، والفهم العميق لدلالات الآيات ونهاياتها ، والتحلق في فضاءاتها بقصد تقوية الإيمان ، وازدياد الخشوع ، والتطبيق الأمثل ، واستكشاف المقاصد ، واستنباط الأحكام، وهذه المرتبة عزيزة صعبة المنال لمن لم يجدّد العهد مع قلبه في طهارته وتمام تعلقه بمقلِّبه وهو الله، في كل لحظات حياته، وهذا التدبر هو ما كان عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم، وهو أرقى المراتب. ومثاله: آيات الاستنباط والإعجاز العلمي ونحوها.

---

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٣٤٩/١) ح(١٠٩٥)، الحاكم في مستدركه (٤٥٤/١) ح(١١٦٥٩). وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ثانياً: صلة تدبر القرآن بالفقه المقاصدي:

من المعلوم أن التدبر يهدي إلى معرفة أسرار القرآن ومقاصده، فتصفُّح الآيات وتلاوتها بتأمّلٍ وتمهّلٍ، لا شك أنه يحقق مطالبها من إدراك معانيها ومراميها، بل يقود الإنسان إلى التجرد من الهوى والمصلحة الخاصة والتخلص عن مؤثرات المحيط الخارجي الفاسد ؛ ولذلك يوجد بين التدبّر والفقه المقاصدي ارتباط وثيق وعلاقة قوية تظهر على ما يبدو لي في النقاط الآتية:

١/ إن فقه المقاصد لا يُدرك إلا بعد عملية التدبّر والوقوف على مقاصد الآيات وغاياتها، فهو مبني ومُؤسَّس على تحقيق التدبّر وفهم المعاني، والتدبّر أصل له أدوات ؛ إذ لا يمكن استنباط الأحكام من النصوص إلا بعد تدبّرها.

٢/ التدبر أكبر وأشمل معنى من الفقه المقاصدي فهو يعمّ العلماء وغيرهم، وأما الفقه المقاصدي فخاص بأولي العلم لوحدهم ؛ لقوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾[سورة النساء: ٨٣].

٣/ غاية التدبر الاعتبار ، وتقوية الإيمان بالله ، والعمل الصالح، وغاية الفقه المقاصدي إنزال مقاصد الدين على الحياة ؛ لتحقيق عبادة الخالق واستجلاب مصالح المخلوق.

٤/ التدبر مفتاح العلم والعمل، والفقه المقاصدي مفتاح لفهم واقع الحياة.

٥/ التدبر أسلوب أمثل للاتعاظ والتفكر والتوجيه، والفقه المقاصدي أسلوب لضمان بقاء الأمة وارتقاءها ، وعودتها إلى دورها الريادي العلمي والعملي.

٦/ التدبر أداة لاكتشاف مقاصد الشريعة، والفقه المقاصدي ثمرة من ثمراته.

٧/ التدبر المأمور به متوجه تلقاء مقاصد القرآن الأصلية الداعية إلى الانقياد والاهتداء بنور الإسلام والإيمان والتصديق، فهو يمهّد لفقه المقاصد ويقرّره ويقوّيه ويؤصّله، فهما متلازمان والآخر أشد حاجة إلى الأول. ومن هنا تظهر العلاقة الحميمية بينهما من خلال هذه النقاط التي ذكرنا.

المبحث الرابع: أثر التدبر في الفقه المقاصدي.

من المعلوم أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي ؛ لذا كانت عناية العلماء به منقطعة النظير على مر الدهور، حيث بذلوا كل الجهود واستنفدوا غاية المجهود في سبيل إدراك معانيه ومراميه وفقهها وتنزيلها ؛ ذلك لأنه الدستور الإلهي المحكم ووثيقة الرشد الخالدة التي رسمت للأمة مناهج تطويرها ومعالم تأطيرها مع التكيّف والتجاوب مع معطيات الحياة ومقتضيات العصر، بما يحافظ على بقائها ويضمن ارتقائها.

ويقيني أن فقه النص القرآني ودلالته ، وإدراك مقاصده والاجتهاد في وسائل تنزيلها على الواقع – وخاصة حال الأمة اليوم – قضية بالغة الأهمية وفي غاية الخطورة؛ وآية الإعجاز أن النص القرآني وُضع في جو وطبيعةٍ تحيط بها الظروف والعوامل الداخلية والخارجية من سباق وسياق ولحاق، فالقرآن لفظ

حامل ومعنى به قائم ورباط بينهما ناظم. وكذلك الأمة الإسلامية في وقتها الراهن تعيش في ظروف وعوامل داخلية وخارجية لا تخفى على إنسان، وفِقْه هذا كله وتنزيله لا يتأتى إلا بحقيقة التدبر، فالتدبر له أثر كبير في هذه القضية. ومن ثَمّ نسلّط الضوء على هذه المفردة في المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: تعريف الأثر ، وبيان منهج السلف في تدبر القرآن وأبعاده المقاصدية.

قبل الحديث عن بيان أثر التدبر في الفقه المقاصدي، بداية يجدر بي وفي لمحة موجزة أن أستعرض تعريف الأثر لغة واصطلاحاً ، وبيان منهج السلف في تدبر القرآن:

أولاً: مفهوم الأثر لغة واصطلاحاً:

تعريف الأثر في اللغة:

الأثر مفرد، والجمع آثار وأُثُور. ويطلق على معانٍ متعددة منها: بقية الشيء، وتقديم الشيء، وذكر الشيء ، والخبر المروي، والعلامة؛ كقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[سورة محمد:٢٩]. وتقول: لا أطلب أثرًا بعد عين؛ أي: لا ألتمس شيئاً غائباً وأترك ما هو موجود أمام عيني. والتأثر: إبقاء الأثر في الشيء. والتأثير: الانطباع. وأثّر في الشيء: ترك فيه أثراً. واقتفى الأثر: تتبَّعه خطوة بخطوة. وجاء على أَثَره: أي بعده. وأجاب عن سؤاله على الأثر: أي في الحال. والأثر ما خلَّفه السابقون؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[سورة يس:١٢]. والأثر الرجعي في التشريع: سريان القانون الجديد على المدة التي سبقت صدوره. وعلم الآثار: علم يُعرف به أحوال الماضي من بقايا الإنسان كالأبنية والتماثيل والنقود وغيرها. وكل ما بُنِي صار أثراً بعد عين: أي زال واضمحل[١].

ويبدو مما سبق أن كلمه الأثر في لغة العرب لها معانٍ كثيرة، منها الخبر ، والعلامة ، وبقية الشيء، والمعني المناسب فيها العلامة ، وبقية رسم الشيء ونتيجته.

تعريف الأثر في الاصطلاح:

عرّفه المحدّثون: على أنه مرادف للحديث سواء أكان الحديث مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً، وقيل إنه: أعم من الحديث، فالحديث ما يُروى عن النبي – عليه الصلاة والسلام – ، والأثر ما يروى عن الصحابة ﷺ[٢]. وكل ذلك في باب نقل الأخبار وليس فيما نقصد بيانه.

وعرّفه الفقهاء: بأنه ما يتوقف ويترتب على الشيء وهو المسمى بالحكم، كما إذا أضيف الأثر إلى الشيء ؛ فيقال: أثر العقد وأثر الفسخ وأثر النكاح، وغير ذلك[٣].

---

(١) انظر مادة (أثر) في: لسان العرب (١/١٢٣)، الصحاح (٢/٤٢٧)، التعريفات، ص١٤، المعجم الوسيط (١/٥).
(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي (١/١٨٤)، مقدمة ابن الصلاح، ص٤٦.
(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (١/٢٤٩).

ولا يخرج استعمال الأثر هنا عن معانيه اللغوية، وخاصة دلالته على نتيجة الشيء وعلامته وبقيته، كما في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ [سورة الأحقاف: ٤]، أي: بقية من علم. وبهذا تظهر العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي ، فأثر تدبّر القرآن في الفقه المقاصدي؛ ما يرسمه عليه ويتركه من علامة ونتيجة تفيد في استنباط الأحكام فيما لا نص فيه، فهو أحد الآثار الثلاثة التي في التدبر، وهي: الأثر في زيادة الإيمان، والأثر في ترقية السلوك، والأثر في استنباط الأحكام.

ثانياً: منهج السلف في تدبر القرآن وأبعاده المقاصدية:

إن الخيّرية التي امتاز بها سلف هذه الأمة، إنما كانت بسبب إقبالهم واعتزازهم واحتفائهم وتمسكهم بكتاب ربهم وتدبرهم إياه.

وذلك لما علموا أن أغلى ما تملكه أمة الإسلام في حياتها هو القرآن الكريم، وعرفوا أنهم مخاطبون بآياته؛ أصغوا إليها بآذان القلوب وتدبّروها ، وعاشوها أجواء روحانية في أسمى معانيها وأنبل مغازيها.

وقَمِنٌ بالذي يروم اقتفاء أثرهم أن يقترب من القرآن الكريم ويتعرّف على منهجهم في فهمه وكيفية التعامل والتفاعل معه؛ لأنهم عاصروا التنزيل وعرفوا التأويل، وفتحوا قلوبهم كي يستعمرها القرآن ويترك فيها آثار النقش والبصمات، ولهذا المنهج السلفي في تدبر القرآن وفهمه أسس وموجّهات، أذكر منها:

١/ تعظيم القرآن الكريم في القلوب والقيام بحقوقه:

فلو عظّمناه وعرفنا له حقّه لحلّ بنا من الخير ما حلّ بهم ولما أصابنا الذي أصابنا، لو أكرمنا كتاب الله ما أهاننا أحد، ولرفرفت رايات الإسلام على كل بلد ؛ لأن القرآن هو القرآن على مرّ العصور لا يخْلق من كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وفيوض الخير والبركات فيه وفيرة وكثيرة، فإذا أردناه لنا دستوراً فلا بد من تقديسه، ولا بد من مراعاة حقوقه وتعظيمه في قلوبنا وتأسيسه.

قال الحارث المحاسبي: " إذا عظُم في صدرك تعظيم المتكلم به، لم يكن عندك شيء أرفع ، ولا أشرف ، ولا أنفع ، ولا ألذ ، ولا أحلى من استماع كلام الله – جل وعز – ، وفهم معاني قوله تعظيماً وحباً له وإجلالاً. إذا كان الله قائله، فحب القول على قدر حب قائله "(١). ولذلك اعتنى به الصحابة وتابعوهم تلاوة ، وحفظاً ، وفهماً ، وتدبراً وعملاً، وعلى ذلك سار سائر السلف.

٢/ التأهيل والتهيؤ لتدبر القرآن الكريم:

---

(١) العقل وفهم القرآن، ص٣٠٢.

وذلك من طهارة قلبية ، وزيادة إيمانية ، وصدقٍ ، ومحبةٍ ، وإخلاص وتواضع وصبر. ولا شك أن للقرآن الكريم تأثيره البليغ الأخّاذ في أُذن وقلبٍ من لازمه وائتمّ به وتدبَّر آياته، ووقف على عجائبه وعظاته، ولكن هذا القلب المؤثَّر عليه لا ينتفع بذلك إلا بعد طهارته وحضوره مع الخشوع والمحبة والتعظيم والتسليم. قال ابن قيم الجوزية: " إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه من تكلّم به، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق:٣٧]، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووُجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر "(١).

٣/ فقه التعامل مع القرآن كما ينبغي:

فلو علمنا ما علموا أن هذا القرآن إكسير الحياة ، وروح الوجود ، وربيع القلوب ، ووثيقة الرشد الخالدة، لأَتْقَنّا فنّ التعامل معه، تأمل معي إلى ما قاله الحسن بن علي – رضي الله عنهما – : " إنَّ من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم ، فكانوا يتدبَّرونها بالليل، ويتفقَّدونها في النهار "(٢).

٤/ الانشغال بالقرآن وتلاوته على الوجه الشرعي والنحو المرضي:

لا ريب في أن سلفنا الصالح عليه الرضوان، كان شغله الشاغل هو القرآن ؛ تصديقاً لقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ : (من شغله قراءة القرآن عن مسألتي وذكري أعطيته أفضل ثواب السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)(٣).

فينبغي على الأمة المتدبِّرة لخطاب ربها، – وهي بين نور الوعد ونيران الوعيد القرآنية – أنْ تستثير هِمّتها، وتوحّد صفها وكلمتها، وتحذوا خطى الرعيل الأول ؛ لتعود لدورها الريادي الذي تحوّل. قال الشهيد سيد قطب: " ستظل هناك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن ما لم نتمثل في حسِّنا ونستحضر في تصورنا أنَّ هذا القرآن خوطبت به أمة حية، ذات وجود حقيقي، ووُجِّهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة "(٤). وقال في موضع آخر: " وهكذا يمكن اليوم وغداً أن يتحرك القرآن في طلائع البعث الإسلامي ويحرّكها كذلك في طريق الدعوة المرسوم "(٥).

---

(١) الفوائد، ص ٣.

(٢) التبيان، النووي، ص ٢٨. ونسب هذا القول إلى الحسن البصري، بلفظ: (وينفذونها بالنهار)، انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي (١/٥٠٠).

(٣) حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه الدارمي في سننه (٥٣٣/٢) ح(٣٣٥٦)، الترمذي في سننه (١٨٥/٥) ح(٢٩٢٦). وقال: حسن غريب.

(٤) في ظلال القرآن (٣٤٨/١).

(٥) المرجع السابق (١٩٤٨/٤).

المطلب الثاني: أثر تدبر القرآن الكريم في بناء العقلية المقاصدية.

لمناقشة هذه المسألة ينحصر الحديث في أمرين؛ الأول: أهمية بناء العقلية المقاصدية، والثاني: أثر إعمال التدبر في بنائها، على نحو ما يلي:

أولاً: أهمية بناء العقلية المقاصدية:

إن بناء العقل المقاصدي الغائي ينعكس عطاؤه على كافة جوانب الحياة الفردية والاجتماعية، ويحقّق الانسجام والتكامل بين قوانين الكون ونواميس الطبيعة وسنن الله في الأنفس، وامتلاك القدرات للتعرف على الأسباب الموصلة لنتائجها والوسائل المتعلقة بمقاصدها[1].

فالعقل المقاصدي دوره أن يكتشف الطاقات ، ويؤصّل للمنطلقات ، ويحدّد المقاصد المرحلية والغايات، ويُكسِب القدرة على التأصيل ، والتحليل ، والتعليل ، والاستنتاج ، واستشراف المستقبل في ضوء رؤية الماضي، ويصون من الوهم والخلط بين الإمكانيات والأمنيات[2].

وإن الرأي المحمود معتبر في التفسير والفقه الإسلامي، وهو الاجتهاد في الفهم والاستنباط اعتماداً على العقل، وهذا الرأي المحمود يدخل في معنى التدبر[3]؛ لأن التدبر في الحقيقة فتْح وعطية من الله – تعالى – للعبد المتأمّل في خطابه لفهم معانيه وإدراك مقاصده، وهذا المعنى يؤكّده بوضوح قول الإمام علي ﷺ ، لما سأله أبو جحيفة: " هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟. قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن..."[4].

وقال الإمام أحمد – رحمه الله – : " الصحابة كانوا يحتجون في عامة مسائلهم بالنصوص كما هو مشهور عنهم، وكانوا يجتهدون رأيهم ويتكلمون بالرأي ويحتجون بالقياس" [5]. وسئل أبو بكر ﷺ عن الكلالة، فقال: إني سأقول فيها برأيي، فإنْ يكُ صواباً فمن الله، وإن يكُ خطأً فمني ومن الشيطان؛ أراه ما خلا الولد والوالد، فلمّا استُخلف عمر ﷺ ، قال: إني لأستحيي من الله أن أردّ شيئا قاله أبو بكر[6]. ونحو ذلك من الشواهد كثير.

---

(١) نحو تفعيل مقاصد الشريعة، د. جمال الدين عطية، ص ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(٣) الثقافة الإسلامية، تقديم محمد بشير سليمان، وزارة الدفاع السوداني، القيادة العامة لقوات الشعب المسلحة، إدارة التوجيه المعنوي، ص٥٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١١٠/٣) ح(٢٨٨٢)، الترمذي في سننه (٢٥/٤) ح(١٤١٢). وقال حديث حسن صحيح.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٨٥/١٩).

(٦) حديث الشعبي أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٢٢٣/٦) ح(١٢٠٤٣) الدارمي في سننه (٤٦٢/٢) ح(٢٩٧٢).

وكذلك الأئمة الأربعة عُرفوا بالفقه المقاصدي والاجتهاد الاستصلاحي مع التفاوت المعتبر من حيث درجة الاعتداد بالمقاصد ، والإفصاح عنها ، والتعويل عليها[1].

وهذا ظاهر من خلال تناولهم لمباحث المصالح المرسلة ، والقياس ، والاستحسان ، وسد الذرائع والعُرف ونحوها.

قال العز بن عبد السلام – رحمه الله – : " معظم مصالح الدنيا ومفاسدها معروف بالعقل، وذلك معظم الشرائع "[2].

فالفهم لمقاصد الشريعة واستيعاب دقائقها ، ووعي مدخلاتها ومخرجاتها ، وإتقان مسائلها وتفاصيلها ، والإلمام بوسائلها وقواعدها يبني ويشكّل مَلكة فقهية وحصيلة معرفية، نستطيع أن نُطلق عليها اسم "الفقه المقاصدي"، والعارف بمرامي الشريعة ، وأهدافها العامة ، وأسرارها ، وأحكامها المختلفة، يمكن أن نسميه بـ "الفقيه المقاصدي"[3].

ثانياً: أثر التدبر في بناء العقلية المقاصدية:

يلوح أثر التدبر في أن فقه المقاصد –كما هو مقرر لدى المقاصديين– يُدرَك بِعدّة مسالك، من جملتها[4]:

١/ النص الصريح على العلّية، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣]، فهذا النص يؤكد على أن العلة من الصوم هي تحقيق التقوى، وتتحصل من النصوص بواسطة التدبر والنظر والتأمل فيها.

٢/ استقراء تصرفات الشارع لأحكامه المعلّلة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾[سورة البقرة: ٢٢٢]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٧٩] وغيرهما، فالمتتبع للنصوص الشرعية يجد أن أحكامها تقبل التعليل، وهذا ما يُسمى عند جمهور علماء الأصول بمبدأ تعليل النصوص ؛ لأنه لا يمكن لأي تشريع في العالم أن تحيط نصوصه بجميع أحكام الحوادث والجزئيات والمسائل الفرعية. فالشريعة الإسلامية في مصدريها الكتاب والسنة تنص على أصول الأحكام الكلية والقواعد والضوابط والشروط العامة، تاركة التفاصيل لمجتهدي الأمة وآراء العلماء الذين تشبّعت أرواحهم بمقاصد الشرع وأحاطت

(١) التنظير الفقهي، د. جمال الدين عطية، ص٦٠.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/٤٥).

(٣) مقتبس من كتاب "أبحاث في مقاصد الشريعة"، د. نور الدين الخادمي، ص ٧٧.

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص٢٠ وما بعدها، نظرية المقاصد، د. الريسوني، ص٢٤١ وما بعدها.

مداركهم بدقائق التشريع، ومن ثَمّ دعت الحاجة إلى الفقه المقاصدي تجاوباً مع الواقع؛ مسايرة ومراعاة لحكم التطور ونزولاً تحت مقتضيات الظروف وتجدد الحوادث وتشعب القضايا[١].

قال الشهرستاني: " وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعدّ. ونعلم قطعاً أيضاً أنه لم يرد في كل حادثة نص، ولا يُتصور ذلك أيضاً. والنصوص إذا كانت متناهية وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى؛ عَلم قطعاً أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد "[٢]. فاستقراء تصرفات الشارع لأحكامه المعلّلة واستنباطها نوع من النظر والتأمل والتدبر. فقد ذكر سلمان السنيدي أن من درجات التدبر استخراج الحِكَم واستنباط الأحكام[٣].

٣/ الاهتداء بالصحابة في فهمهم لأحكام الكتاب والسنة وأدائهم الاجتهادي؛ لأنهم عندما ارتبطوا بالقرآن وانشغلوا به وعايشوه وشهدوا تنزيلَيْه؛ أعني بالتنزيلين: تنزيله من الله – تعالى – على رسوله، وتنزيله على أرض الواقع بتطبيقه والعمل به، تفتّقت[٤] لهم عبقريات الحذّاق، وتفتّحت لفقههم للدين والحياة آفاق، فعاشوا في رحابه سعداء وماتوا شهداء، فلئن كان لنا فيهم أسوة، فلابد وأن نتبع منهجيتهم ونهتدي بفهمهم لأحكام الكتاب والسنة، فإن صدقنا في التشبه بهم كان بالوسع فهم الواقع وربما المتوقع.

ومن نماذج العقلية الاجتهادية المقاصدية للصحابة: ما رواه معمر بن عبد الله الجُهَنِيّ قال: (تزوج رجل منّا امرأة من جهينة فوَلَدَت له لتمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان – رضي الله تعالى عنه – فذكَر ذلك له فبَعَث إليها، فلما قامت لتَلبَس ثيابَها بَكَتْ أختها، فقالت: وما يُبكيكِ؟ فوالله ما التَبَس بي أحد من خلْق الله — تعالى – غيره قط، فيَقضي الله – سبحانه وتعالى – فيَّ ما شاء. فلما أُتِيَ بها عثمان – رضي الله تعالى عنه – أمَرَ برجمها ، فبَلَغَ ذلك عليًّا – رضي الله تعالى عنه –، فأتاه فقال له: ما تصنع؟ قال: وَلَدَت تمامًا لستة أشهر، وهل يكون ذلك؟ فقال له عليّ – رضي الله تعالى عنه – : أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قال: أما سمعتَ الله ﷻ يقول: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾[سورة الأحقاف: ١٥]، وقال: ﴿ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣]، فلم نجده

(١) أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي (٦٠٠/١).
(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١٩٩/١).
(٣) تدبر القرآن للسنيدي ، ص ٧١.
(٤) قال ابن منظور: (والفَتَقُ الصبح، وصبح فَتِيقٌ: مُشرق التهذيب، والفَتْق: انفلاق الصبح. قال ذو الرمة: وقد لاحَ للسَّارِي الذي كَمَّل السُّرَى على أُخْرَياتِ الليل فَتْقٌ مُشَهَّرُ. والفَتِيقُ: اللسانِ الحُذَاقيّ الفصيح، ورجل فَتِيقُ اللسان: على فعيل فصيحُه حَدِيدُه). والمراد هنا انشقت وتكوّنت وظهرت. انظر: لسان العرب، مادة (فتق) (٢٩٦/١٠)، القاموس المحيط، الفيروز أبادي (١١٨٣/١).

بَقيَ إلا ستةُ أشهر. قال: فقال عثمان – رضي الله تعالى عنه – : والله ما فَطِنتُ لهذا، عليَّ بالمرأة. فوجدوها قد فُرِغ منها. قال: فقال مَعمَر: فوالله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة بأشبَهَ منه بأبيه. فلما رآه أبوه قال: ابني والله لا أشكّ فيه)[1].

وكذلك قصة أمير المؤمنين علي ﷺ عندما كان يخطب على منبر الكوفة، ويقول: " الحمد لله الذي يحكم بالحق قطعا، ويجزي كل نفس بما تسعى، وإليه المآب والرجعى " فقطع عليه بعض الناس خطبته بتوجيه السؤال إليه عن مسألة في الفرائض: هلك هالك وترك زوجة ، وأماً ، وأباً وبنتين ، فبدره بالجواب من قافية الخطبة، فقال: " والمرأة صار ثُمنها تُسعا " ثم مضى في خطبته فتعجبوا من فطنته ؛ وذلك لأن نصيب الزوجة الثُّمن، فكان حقها أن تأخذ ثلاثة من أربعة وعشرين، والآن ثلاثة من سبعة وعشرين، وهو التسع، فسميت هذه المسألة بالمنبرية[2]. وغيرها كثير.

فغاية الفقه المقاصدي تفعيل المقاصد في العصر الراهن وتطبيقها في وقائع الحياة وقضايا الناس، وهذا ما يُعرف بمواكبة الفقه المقاصدي لأوضاع الحياة المستجدة ومقتضيات العصر[3].

المطلب الثالث: أثر تدبر القرآن في توسيع الفقه المقاصدي.

تطبيق منهجية التدبر على الوجه الأكمل، وتنقيب أسرار القرآن وامتلاك ثقافته، لاشك أنَّ لها دورها الكبير وأثرها البليغ في توسيع الفقه المقاصدي المنضبط وتفريعه ، وحري بي أن أوجّه هذه القضية في مرتكزاتها الأساسية، ولضيق المقام أكتفي بذكر ثلاثة منها:

أولاً: ضرورة تفعيل التدبر واستثماره في توسيع الفقه المقاصدي:

كما قرّرنا أن التدبر شعيرة واجبة التعظيم ؛ لقوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ** ﴾ [سورة الحج:٣٢]، واجبة التفعيل والتطبيق والانتفاع بأبلغ نافع ؛ لأن إهمالها فيه توبيخ وذم، وتأمل معي قوله سبحانه: ﴿ **مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا** ﴾ [سورة الجمعة:٥]. قال العلامة ابن كثير: " يقول تعالى ذامًّا لليهود الذين أُعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا، أي: كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسناً ولا يدري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حمْلهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظاً ولم يتفهّموه ولا عملوا بمقتضاه "[4].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٨٠/٧).

(٢) شرح الرحبية، المار ديني، ص ٢٨٨، حاشية ابن عابدين (٧٨٧/٦)، المنتقى، الباجي (٢٢٧/٦)، مغني المحتاج، الخطيب الشربيني (٣٣/٣)، كشاف القناع، البهوتي (٤٣٢/٤).

(٣) أبحاث في مقاصد الشريعة، د. الخادمي، ص ٥٥.

(٤) المرجع السابق (١١٧/٨).

وهذه الآية وإن نزلت في اليهود إلا أن فيها تحذيراً وتنبيهاً لكل قارئ للقرآن الكريم ، وبالأخص من كان أهلاً لاستنباط الأحكام وكشْف المقاصد، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ ولذا قال الإمام ابن القيم: " فقاس من حمَّله سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبّره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ، ولا اتباع له ولا تحكيم له وعمل بموجبه ،كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حمْله على ظهره ليس إلا، فحظّه من كتاب الله كحظّ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره. فهذا المثل وإن كان قد ضُرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته "[١].

ثانياً: أثر التدبر في اختلاف الأسلوب والخطاب القرآني بنوعيه المكي والمدني:

إن مقتضيات العصر الراهن وضروراته تملي أن تتجدد وسائل الخطاب الشرعي والنظرة المقاصدية لمعطيات شؤون الحياة وتنوعها وتطورها ؛ مسايرة للواقع ومواكبة للمستجدات، مع استخدام ضوابط عاصمة من الانحراف. وهذا ما يُعبّر عنه بمرونة التشريع الإسلامي، وهذا الأمر ملحوظ في اختلاف الأسلوب والخطاب القرآني بنوعيه المكي والمدني. حيث يتميز النص القرآني المكي غالباً بمتانة الأسلوب وقوة الخطاب ؛ وذلك لأن الموجَّه إليهم الخطاب قوم معرضون مكذِّبون، ولا يناسبهم إلا ذلك، ولو تدبّرت سور «ق والقمر والملك والمدثر»، لوجدت ذلك لائحاً. وأما المدني فعكس ذلك تماماً، فالأسلوب سهل والخطاب لين ؛ لأن غالب المخاطَبين ممتثلون، وتدبر معي سور «المائدة والنور والحجرات» لبيان ذلك[٢].

وهذا الاختلاف في الأسلوب والخطاب القرآني بنوعيه المكي والمدني يؤثّر على الفقه المقاصدي التجديدي، فيجعل لعلم المقاصد محورين رئيسين هما: مقاصد الشريعة ويمثّلها الخطاب القرآني المدني ، ومقاصد العقيدة ويمثّلها الخطاب المكي، فكما أن كل الاهتمام مُنصبّ على مقاصد الشريعة التي تعني الجانب العملي، فكذلك مقتضيات الواقع يستدعي الاهتمام بمقاصد العقيدة التي تعني الجانب الاعتقادي؛ لأن الإسلام عقيدة وشريعة.

ثالثاً: أثر التدبر في الاجتهاد المصلحي:

الاجتهاد المصلحي يقوم على مراعاة المصالح وتقديرها وبناء أحكام الشرع عليها في شتى مجالات الحياة كالفتيا ، والقضاء ، والسياسة ، وقضايا النوازل المعاصرة ، ونحوها.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/١٩٧)، التفسير القيم (١/٥٤٣).

(٢) أصول في التفسير، ابن العثيمين، ص ١٨.

ومثال ذلك: ما حكاه المولى – سبحانه – من قصة موسى والخضر – عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام – وما كان من خرْق السفينة، فقال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ [سورة الكهف: ٧١].

والمتأمل في هذه الآية يعلم أن الخضر خرَق السفينة من أجل أن تكون مَعيبة، فينقذها وتبقى لأصحابها المساكين ؛ لكي لا تُغتصب منهم، وهذا مقصده الذي قصّه الله – تعالى – من خرْقه للسفينة، فقال: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [سورة الكهف:٧٩].

فقد علم الخضر أن السفينة كانت مُعرّضة للغصْب من قِبل قراصنة الملك الذين كانوا يجوبون البحر ويأتونه بكل سفينة جيدة صالحة، فوجد ألا مفرّ من إعطاب السفينة ؛ حتى يزهد فيها قراصنة الملك ويتركونها لأهلها(١).

فمن خلال الوقوف على هذه الآيات وتدبرها واستخراج معانيها، يظهر أن التدبر والتفكر له أثره في توسيع مجال النظرة في الاجتهاد المصلحي، وغيرها كثير يوجد عند الاستقراء.

قال الدكتور جمال الدين عطية: " ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة، لعلمنا أن الله أمر بكل خير دِقّه وجلّه، وزجر عن كل شر دِقّه وجلّه، فإن الخير يُعبّر به عن طلب المصالح ودرء المفاسد، والشر يُعبّر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح، وقد قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [سورة الزلزلة: ٧–٨] – إلى أن قال– : وأجمع آية في القرآن للحث على المصالح كلها وللزجر عن المفاسد بأسرها، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٩٠] " (٢).

وهكذا لو قرأت لعظماء الإسلام وقيادات الأمة وعلى وجه التحديد الشيخين الجليلين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – لوجدت أن لأثر تدبّرهما كتاب الله حظاً أوفر في وضْع لبنات الفقه المقاصدي ، والاجتهاد المصلحي ، وفقه السياسة الشرعية للرعية.

ومن ثَمّ فالدعوة إلى توسيع دائرة الفقه المقاصدي مطلب شرعي وواقعي، فشيخ المقاصد الإمام الشاطبي أضاف لهذا الفن الكثير، كمقاصد المكلف ، وعلاقة المقاصد بالاجتهاد ، وطرق إثبات

(١) الاجتهاد المصلحي، د. أحمد الريسوني، ص ١٢.

(٢) نحو تفعيل مقاصد الشريعة للدكتور / جمال الدين عطية ، ص ١٩.

المقاصد، وتكلم عن حفظ الضروريات الخمس من جانبي الوجود والعدم[1]. وجاء العلّامة المجدّد الشيخ ابن عاشور فزاد مقاصد التشريع الخاصة بأنواع المعاملات ، ومقاصد السماحة ، والفطرة والحرية[2]. ثم توسعت الدوائر المقاصدية في عصرنا هذا إلى أبعد من ذلك لتنتظم المجالات الأربعة، مجال الفرد والأسرة والأمة والإنسانية[3]. وهكذا تتسع فضاءات الفقه المقاصدي لتواكب أوضاع الحياة وقضايا الفكر الإسلامي المعاصر؛ وتناغماً مع مشروع الحياة مع القرآن الكريم.

ولله الحمد فقد أصبح البحث المقاصدي اليوم ينمو ويتسع بوتيرة لم يسبق لها مثيل في شتى المجالات، بفضل توجُّه علماء الأمة نحو تفعيل مقاصد القرآن الكريم دراسة وفقهاً وتأصيلاً وتنزيلاً.

ولسلامة هذا البحث المقاصدي لا بدّ للباحث من إطالة النظر ، وجودة القريحة ، ومداومة التثبت ، ودقة التأمل ، ورحابة الفكر ، وسعة الأفق وصدْق القصد، ولضبط إيقاعه فقد وضع العلماء له قواعد عامة، نذكر منها:

- صدق النية وسلامة المقصد عند تحصيل الأحكام الشرعية.
- الوقوف على مواضع الاستنباط ومحال النظر.
- تحقق شرائط الاجتهاد ، وإتقان العلوم المؤهِّلة للاستنباط المقاصدي.
- تكوين ملكة الاستنباط والبصيرة الوقّادة.
- مراعاة مقاصد الشارع وأهداف التنزيل[4].
- مراعاة الواقع .
- مراعاة مآلات الأفعال[5].

وفي خواتيم هذا البحث أدعو الأمة الإسلامية للاهتمام بجواهر القرآن لا بمظاهره، والتخلّق به على نحو ما كان يتخلّق به رسول الله ﷺ ، جعلنا الله ممن يرعاه حق رعايته، ويتدبّره حق تدبّره، ويقوم بقسطه، ويوفي بشرطه، ولا يلتمس الهدى في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهرة، وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة[6].

---

(١) حيث قال: (ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة) انظر: الموافقات (٢/٢٠).

(٢) مقاصد الشريعة للطاهر ابن عاشور ، ص٥٦ وما بعدها.

(٣) نحو تفعيل مقاصد الشريعة، د. جمال الدين عطية ص ١٣٩.

(٤) تدبر القرآن، الشيخ السنيدي، ص ٧٢ بتصرف.

(٥) أبحاث في مقاصد الشريعة، د. الخادمي، ص ٦٧، ٦٩.

(٦) مقدمة تفسير القرطبي (١/٢).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أفضل المخلوقات نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والتابعين. وبعد:

فشُكْر ربي الرحمن المستعان قد وجب بإتمام هذا البحث والانتهاء من دراسة عناصره وخطته، فلله الحمد في البدء والختام ، والشكر له على الدوام شكر الشاكرين العاجزين عن الثناء عليه.

وبعد الوقوف على مفهوم التدبر وأهميته وأركانه وقواعده ومراتبه، وبعد عرض مفهوم الفقه المقاصدي وأهميته وصلته بالتدبر، وبيان أثر التدبر في بناء العقلية المقاصدية وتوسيع دائرة فقه المقاصد والواقع والحياة، نصل إلى خاتمة هذا البحث التي تحمل في طيّاتها الثمرات اليانعة والنتائج المفيدة؛ فالنفوس دائماً تشرأبُّ إلى النتائج دون المقدِّمات، وتتشوَّف إلى الخلاصة والتوصيات، ومن المناسب حينئذ أن أعرض أهم النتائج والتوصيات التي أثمرت عنها هذه الدراسة فيما يلي:

أولاً: النتائج:

١/ تُعتبر قضية التدبر من مقاصد التنزيل الكبرى، فما نزل القرآن الكريم إلا لأجل تدبّر آياته ، والاتعاظ بها ، واستنباط الأحكام منه والعمل بمقتضى ذلك.

٢/ عرّفتُ التدبر بأنه: التبصُّر الموصل إلى دلالات آيات القرآن، وما وراءها من حِكَم وأسرار، بقصد الانتفاع بها علماً وإيماناً وعملاً.

٣/ يستمد التدبر أهميته من أهمية المتدبَّر وهو القرآن الذي فضْلُه على سائر الكلام كفضل الله – تعالى – على خلْقه.

٤/ عرّفتُ الفقه المقاصدي بأنه: تأسيس فقه الواقع والحياة اعتماداً على مقاصد الشريعة.

٥/ الفقه المقاصدي من أشرف علوم الشرع وأدقها، لا يفيد فيه إلا ذو بصيرة وقّادة ، وقريحة صافية وعلم غزير ، واجتهاد منضبط ، وذهن لطيف ، وفهم صحيح وذوق سليم، وهو روح الشريعة ، وأمين سرها وعنوان كمالها وعدلها ورحمتها وحكمتها.

٦/ تدبُّر القرآن مأمور به الثقلين الإنس والجن ؛ لكونهما المكلَّفين بالعبادة، إذ يقول تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

٧/ لابد للتدبر من قواعد يتأسس عليها وهي كثيرة، ذكرتُ منها: معرفة اللغة العربية، والدراية بأسباب النزول، وإنزال معاني القرآن على الواقع، وفهم السياق والمقاصد القرآنية، والتأني في القراءة مع حضور القلب، ونداوة صوت المرتل وحسن الاستماع.

٨/ التدبر على ثلاث مراتب: تدبر العموم، وتدبر الخصوص، وتدبر خصوص الخصوص.

٩/ إن الخيّرية التي امتاز بها سلف هذه الأمة، إنما كانت بسبب إقبالهم واعتزازهم واحتفائهم وتمسكهم بكتاب ربهم وتدبرهم إياه.

١٠/ منهج السلف الوسطي في تدبر القرآن يقوم على تعظيم القرآن في القلوب والقيام بحقوقه، والتأهيل والتهيؤ لتدبره، وفقه التعامل معه كما ينبغي، والانشغال به وتلاوته على الوجه الشرعي والنحو المرضي.

ثانياً: التوصيات:

ارتأيت أن أوصي بالأمور الآتية:

♦ أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله – تعالى – ومعاهدة كلامه العزيز ، والتحلق في سماء آياته وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو المطلوب.

♦ أُهيب بدور فريضة التدبر الذي يُسهم في بناء العقلية المقاصدية وتكوين الملكة الفقهية؛ الصانع للمجتهد المفكّر، والفقيه المثمر.

♦ التأكيد على أهمية قضية تدبر القرآن الكريم ، وأثرها في توسيع الفقه المقاصدي.

♦ أوصي الجهات المهتمة بقضية التدبر من مؤسسات وهيئات بالإشراف والتنسيق والعمل على تأليف موسوعة تدبر القرآن الكريم، ورسم معالم المنهجية العلمية والعملية له.

♦ أُهيب بالباحثين إجراء مزيدٍ من الدراسات التي لها صِلة بقضية التدبر ، وخاصة التركيز على الجوانب التأصيلية والتطبيقية التي تلامس الواقع.

♦ وأضم صوتي للذين يناشدون بإنشاء فروع للهيئة العالمية للتدبر في كافة الأقطار؛ لتعميم الفائدة، وتحقيق عالمية القرآن بمناهج تدبره ، وتفعيل ذلك في واقع الحياة.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، والحمد لله رب العالمين.



ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١) أبحاث في مقاصد الشريعة: د. نور الدين مختار الخادمي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٢) أساس البلاغة: أبو القاسم الذمخشري، دار صادر، بيروت.
٣) أصول الفقه الإسلامي: د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
٤) أصول في التفسير: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٥) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ.
٦) الاجتهاد المصلحي.. مشروعيته ومنهجه: د. أحمد الريسوني، مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٧) الاجتهاد المقاصدي؛ حجيته.. ضوابطه.. مجالاته: نور الدين بن مختار الخادمي، كتاب الأمة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد ٦٥،٦٦، ١٤١٩هـ.
٨) الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين الآمدي، ضبطه الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.
١٠) إعلام الموقعين عن رب العالمين: أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، مكتبة اليمان، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
١١) بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الزغلي، دار المعالي، ط١،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٢) تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، المطبعة الخيرية، القاهرة، ط١، ١٣٠٦هـ.
١٣) التبيان في آداب حملة القرآن: أبو زكريا يحي بن شرف النووي، تحقيق محمد الحجار، دار ابن حزم، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.
١٤) تدبر القرآن: سلمان بن عمر السنيدي، المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١٥) تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: رقية طه جابر العلواني، (بدون)، ط٥، ٢٠٠٨م، عبر الموقع: www.drrugaia.com.
١٦) تدبر القرآن وأثره في تزكية النفوس: محمد عمر بن سالم بازمول، دار الاستقامة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
١٧) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: الجلال السيوطي، دار الكتب الحديثة، ط٢، ١٩٦٦م.
١٨) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
١٩) تفسير القرآن العظيم "تفسير ابن كثير": أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٠) التفسير القرآني للقرآن: د. عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢١) التفسير القيم: ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢) التنظير الفقهي، د. جمال الدين عطية، مطبعة المدينة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٣) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٤) التوضيح لمتن التنقيح: عبيد الله بن مسعود صدر الشريعة، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٢٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار، طبعة الرئاسة العامة للدعوة والإرشاد.
٢٦) الثقافة الإسلامية: وزارة الدفاع الوطني السوداني، القيادة العامة لقوات الشعب المسلحة، إدارة التوجيه المعنوي، تقديم محمد بشير سليمان محمد نور، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٢٧) الجامع الصحيح "صحيح البخاري": أبو عبد الله محمد البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢٨) الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي": أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٢٩) جمع الجوامع: تاج الدين بن علي السبكي، مطبوع مع "تشنيف المسامع"، تحقيق أبي عمرو الحسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٣٠) حاشية ابن عابدين "رد المحتار على الدر المختار": محمد أمين بن عابدين، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٩م.
٣١) حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة، ١٣٥٧هـ.
٣٢) سنن البيهقي الكبرى: أبو بكر أحمد البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٣٣) سنن الترمذي: مطبوع مع "تحفة الأحوذي"، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٣٤) سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله الدارمي، تحقيق فواز زمرلي، وخالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٣٥) السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد النسائي، تحقيق د.عبد الغفار سليمان، د. سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٣٦) الشاطبي ومقاصد الشريعة: حماد العبيدي، دار قتيبة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٣٧) شرح الرحبية: سبط المارديني، وتعليق د. مصطفى البغا، دار القلم، ط٦، ١٤١٤هـ.
٣٨) الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية": إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق شهاب الدين عمرو، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م.
٣٩) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: أبو حاتم محمد بن حبان التميمي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٤٠) صحيح مسلم بشرح النووي: أبو زكريا يحي النووي، تحقيق الشيخ خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
٤١) العقل وفهم القرآن: الحارث بن أسد المحاسبي، قدم له وحقق نصوصه حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٤٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، دار الريان، القاهرة.
٤٣) الفقه الإسلامي وأدلته: وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٤٤) الفكر المقاصدي قواعده وفوائده: أحمد الريسوني، كتاب الجيب رقم ٩، منشورات جريدة الزمن، ديسمبر ١٩٩٩م.
٤٥) الفوائد: أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
٤٦) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.
٤٧) القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٤٨) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز بن عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٩) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٥٠) كشاف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يوسف البهوتي، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٤هـ.
٥١) لسان العرب: محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٤، ١٩٩٤م.
٥٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٢هـ.
٥٣) مختار الصحاح: الرازي، دار صادر، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٥٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة الوقفية، القاهرة، مصر.
٥٥) مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول في أصول الفقه: العلامة منلا خسرو، وعليه حاشية الإمام الأزميري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٥٦) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: محمد الخطيب التبريزي، تحقيق جمال العيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٥٧) المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٥٨) المسند: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، الطبعة الميمنية، القاهرة، ١٣١٣هـ.
٥٩) مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، تحقيق سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٦٠) مشروع الحياة من جديد: أسماء بنت راشد الرويشد، الكتيبات الإسلامية، دار الوطن للنشر.
٦١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد المقري الفيومي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م.
٦٢) المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
٦٣) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت،١٤١١هـ.
٦٤) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، دار الفكر، بيروت.

٦٥) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: شمس الدين محمد الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٦٦) مفاتيح للتعامل مع القرآن: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٦٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٨) مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، عمان، الأردن، دار النفائس، ط٢، ٢٠٠١م.
٦٩) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، دار الهجرة، الرياض، ط١، لسنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٧٠) مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام: عمر بن صالح عمر، عمان، الأردن، دار النفائس، ط١، ٢٠٠٣م.
٧١) مقاصد الشريعة ومكارمها: علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط٥، ١٩٩٣م.
٧٢) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف حامد العالم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، السعودية، الرياض، ط٤، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٧٣) الملل والنحل: محمد عبد الكريم الشهرستاني، صححه معلقاً أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٤) المنتقى في شرح موطأ مالك بن أنس: أبو الوليد الباجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٣٣١هـ.
٧٥) الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي، ضبط وتعليق وتخريج أبي عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. وشرح عبد الله دراز، دار المعارف، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٧٦) الموسوعة الفقهية الكويتية: جماعة من العلماء، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط٤، ١٩٩٣م.
٧٧) نحو تفعيل مقاصد الشريعة: د.جمال الدين عطية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٧٨) نظرات في التأصيل: د. مبارك المصري النظيف، مركز تأصيل العلوم، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، السودان، ود مدني (قيد النشر).
٧٩) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: د. أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٨٠) نهاية السول في شرح منهاج الوصول: جمال عبد الرحيم الأسنوي، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.